

يَا إِخْوَتِي الْكِرَامَ،

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الذَّارِيَاتِ عَنْ سَبَبِ خَلْقِ الْإِنْسَانَ:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾¹

الْعِبَادَةُ هِيَ تَعْظِيمُ الْمَرْءِ لِمَنْ اعْتَبَرَهُ إِلَهًا وَإِمْتِثَالِهِ أَوْامِرِهِ. مِنْ أَوَّلِ مَا يُحْطَرُّ بِالْبَالِ عِنْدَ اسْتِعْمَالِ مَفْهُومِ الْعِبَادَةِ فِي لُغَتِنَا الْيَوْمِيَّةِ هِيَ أَعْمَالُنَا الْبَدَنِيَّةُ. فَالْمَعْنَى الْخُصُوصِيُّ لِلْعِبَادَةِ يَحْتَوِي عَلَى الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ، وَمِثْلُ هَذِهِ الْأَعْمَالِ مَوْجُودَةٌ فِي كُلِّ الْأَدْيَانِ. وَفَوْقَ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الْمُتَوَعَّغَةِ الَّتِي تَشْغُلُ مَكَانًا مُهِمًّا فِي الْإِسْلَامِ هُنَاكَ مَا نُسَمِّيهِ الْعُبُودِيَّةَ وَهِيَ الْوَجْهُ الْعَامُّ لِمَفْهُومِ الْعِبَادَةِ. فَدُخُولُ الْعُبُودِيَّةِ هَذِهِ فِي كُلِّ مَجَالَاتِ الْحَيَاةِ نَرَاهُ مِنْ عِلَامَاتِ الْإِسْلَامِ الْفَارِقَةِ.

يَا جَمَاعَتِي الْعَزِيزَةَ،

عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَرَى نِعْمَةَ الْحَيَاةِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَى الْإِنْسَانِ فُرْصَةً لِنَفْسِهِ يُؤَدِّي بِهَا مَا عَلَيْهِ مِنْ عُبُودِيَّةٍ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾² وَيَهْدِيهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ قَدْ وَهَبْنَا الْقِسْطَاسَ الْمُسْتَقِيمَ فِي الْوَعْيِ بِالْعُبُودِيَّةِ. وَلَا يَسْعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتَحَرَّكَ فِي أَحْوَالِ وَظُرُوفِ الْحَيَاةِ الْمُخْتَلِفَةِ دُونَ وَعْيِهِ بِالْعُبُودِيَّةِ وَلَا أَنْ يُمْضِي حَيَاتَهُ فِي الشَّهَوَاتِ. وَعَلَيْهِ أَنْ يَعْتَبِرَ الْحَيَاةَ الَّتِي أُعْطِيَ إِيَّاهُ أَمَانَةً فِي يَدِهِ، وَيَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ سَوْفَ يُحَاسِبُهُ عَلَى كُلِّ هَذِهِ الْأَمَانَاتِ يَوْمًا. يَجِبُ الشُّكْرُ عَلَى كُلِّ نِعْمَةٍ. فَلَا يَعْصِيَنَّ وَيَعْتَرِضَنَّ أَحَدٌ إِذَا أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ امْتِحَانٌ وَلْيُقَابِلْهُ بِالصَّبْرِ وَالسَّكِينَةِ وَلْيَحْتَسِبْ أَجْرَهُ وَجَزَاءَهُ مِنَ اللَّهِ. يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمَرْءُ مُتَوَاضِعًا وَمُشْفِقًا وَرَحِيمًا، عَالِمًا بِأَنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ فِي الْكَوْنِ خُلِقَ لِحِكْمَةٍ أَوْ لِسَبَبٍ لَا نَعْلَمُهُ، لَا مُسْتَكْبِرًا عَلَى النَّاسِ.

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكِرَامَ،

الْعِبَادَةُ بِمَعْنَاهَا الْعَامَّةُ تَعْنِي الْعُبُودِيَّةَ وَتَسَاوِي جُزْئِيَّاتِ الدِّينِ كُلِّهَا. الْعُبُودِيَّةُ تَشْمَلُ كُلَّ مَا كَانَ عَمَلُهُ حَسَنَةً وَمَا يُقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا عُمِلَ مُخْلِصًا لِأَمْرِهِ وَلِنَيْلِ رِضَاهِ. الْعِبَادَةُ اسْمٌ لِكُلِّ مَا يُرْضَى بِهِ اللَّهُ مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ. وَالدِّينُ يُنْظَمُ الْحَيَاةَ وَيُحَدِّدُ لِلنَّاسِ كَيْفِيَّةَ عَيْشِهِمْ. وَبِمَبَادِيهِ وَقَوَاعِدِهِ الَّتِي وَضَعَهَا، يَتَدَخَّلُ فِي كُلِّ مَجَالَاتِ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ. وَإِذَا لَحَّصْنَا الْقَوْلَ، قُلْنَا إِنَّ الْحَيَاةَ كُلَّهَا دِينٌ وَالدِّينُ كُلُّهُ عِبَادَةٌ. أَيُّ الْعِبَادَةِ هِيَ الْحَيَاةُ وَالْحَيَاةُ هِيَ الْعِبَادَةُ.

يَا إِخْوَتِي الْكِرَامَ،

نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ مُكَلَّفُونَ بِتَمَثِيلِ جَيْدٍ لِدِينِنَا فِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ. نَحْمِلُ مَسْئُولِيَّةَ عَظِيمَةً لِنُصَبِّحَ مُمَثِّلِي دِينِ الْإِسْلَامِ الْحَقِّ فِي كُلِّ مَجَالَاتِ الْحَيَاةِ مِنْ مَكَانِ الْعَمَلِ وَالْمَصْنَعِ إِلَى الْمَدْرَسَةِ وَالسُّوقِ. فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُرِيَ خَيْرَ وَجَمَالَ الْإِسْلَامِ لِلنَّاسِ وَنَعْتَبِرَ هَذَا عِبَادَةً. يَجِبُ أَنْ نَعْرِفَ أَنَّ الْمُعَامَلَاتِ الْمَدِينِيَّةَ الَّتِي نَسْلُكُهَا مَعَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، سَوْفَ تُسَاعِدُ فِي غَلْبَةِ الْإِسْلَامِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ. يَنْبَغِي أَلَّا نَنْسَى أَنَّ جُهُودَنَا فِي هَذَا الْإِطَارِ هِيَ مِنْ مُفْتَضِيَّاتِ وَعَيْنَا بِالْعِبَادَةِ وَالْعُبُودِيَّةِ. فَلْنَحْتَمِ خُطْبَتَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ عِبَادَاتِهِمْ بِحَقِّ وَعَيْنٍ بِالْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ آمِينَ

